

دراســة

الأَخْباريون والسياسة في إيران

دراسة في ماهيَّة الخلاف السياسي بين الأخباريَّة والتيَّار الولائي

محمد السيّد الصياد

باحث بالمعهد الدولي للدراسات الإيرانية

الملخّص التنفيذي

تتناول هذه الدراسة التيَّار الأَخْباريّ في إيران بوصفه أقوى التيَّارات الدينية ذات التأثير في المشهد الحوزوي العام، وما يتبعه من انعكاساتٍ على الساسة والسياسة، وتحوّله من مجرّد مدرسةٍ فقهية إلى تيّارٍ عامّ، أقرب إلى الآيديولوجيا. كما تسعى الدراسة إلى تحديد مَواطن الخلاف بين الأخباريين والنِّظام الإيرانيّ ما بعد الثورة، وكذلك محاولة فَهْم موازين القوى في البيئة الشيعية الأمّ.

تتناول هذه الدراسة عدة محاور، المحور الأول هو التعريف بالتيّار الأخباري، وهو تيّارٌ شيعيٌّ ينتسب إلى الأخبار، أي الروايات الواردة عن أئمة آل البيت، فالأخبار عندهم حجَّة لا يجوز مخالفتها أو التعامل معها وِفق المنظومة القواعدية للاستنباط المتمثِّلة في أصول الفقه، الذي يعتبرونه علمًا سُنّيَّ المنشأ ومِن ثَمّ يجب مخالفته. ويُفسِّرُ منهجُ رجالِ الحديث الأخباريين طريقةَ التيَّارِ في التعاطي مع النصّ، فتصنيف الكتب الحديثية ينحصر في انتخاب الصحيح من وجهة نظر المُصنِّف، وليس مجرد حشد كل أو معظم الروايات الصحيحة -سندًا- في الباب لمرحلةٍ تاليةٍ خاصّةٍ بعملية الصناعة الفقهية، ومنحصرةٍ على الفقيه العارف بالقواعد والأُصول.

أما المحور الثاني فهو أبعاد التمايز بين التيَّار الأخباري والأصولي، حيث أدَّى عدد من الاختلافات الدينية إلى خلافاتٍ سياسيةٍ في ما بعد بين الأخباريين ومنظّري الثورة في إيران، وجعلتهم عرضة للمُلاحقة الفكرية الدائمة، رغم خفوتهم وكمونهم على هامش الحياة المذهبية في الآونة الأخيرة، نتيجة التشويه المُمنهج الذي تعرضوا له. وأهمّ الأُصول التي اختلف فيها

الفريقـان هـي: نبـذ علـم الأصـول، ومـن أهـمّ أسـباب التمايـز بـين التيَّـار الأخبـاريّ والتيَّـار الأصـولي عمومًـا بشـقَّيه التقليـديّ والحـركيّ أن التيَّـار الأخبـاري نبـذ علـم أصـول الفقـه برمّتـه، حتـى بعـد تكييفـه وِفْقًـا لأصـول المذهـب الجعفـري، ذلـك أنّـه -وِفْقًـا للأخباريـين- مسـتمَدٌّ مـن المنظومـة العلميـة السـنِّية. وهنـاك مركزيـة الروايـات: نسَـبَ الأسـترابادي إلى أئمـة الشـيعة الأوائـل الذيـن زعَـم انتسـابَهم إلى التيّـار الأخبـاري، كالصدوقـين والكلينـي وغيرهـم، اعتقادَهـم أنـه «لا مـدرك للأحـكام الشرعيـة النظريـة فرعيـة كانـت أو أصليـة إلا أحاديـث العـترة الطاهـرة»، أي لا القـرآن ولا العقـل، إنمـا الروايـة فقـط. ومهمَّـة الفقيـه: وهـي الاقتصـار عـلى نقـل رأي المعصـوم دون التدخّـل برأيـه. وضـد العقلانيـة: ينظـر الأصوليـون إلى الأخباريـين في الـدرس الحـوزوي المعـاصر عـلى أنّهـم تيَّـار مصـادم للعقـل، وضـد العقلانيـة، وهـذه هـي الصـورة الشـائعة للأخباريـة في الدوائـر العلميـة، وترسّـخت هـذه الصـورة بالتشـويه العلمـي المنهـج الـذي تعرضـت لـه المدرسـة الأخباريـة مـن فلاسـفة ومُنظّـري الخـطّ الـولائي في إيـران المعـاصرة عـلى وجـه التحديـد.

وتناولـت الدراسـة في المحـور الثالـث الأخباريـون وإيـران المعـاصرة.. الخـلاف العميـق، هنـاك خـلافٌ بـين المدرسـة الأخباريـة وإيـران المعـاصرة لا يقـلّ في عمقـه عـن الخـلاف التاريخـي الأخباري-الأصولي، بـل يمكـن القـول إنّ الخـلاف التاريخـي كاد أن يتـلاشى لـولا أنّـه تـمّ إذكاؤه مـن قِبـل الفلاسـفة الإيرانيّـين المعاصريـن مـن المنتمـين إلى الخـطّ الـولائي. وأهـمّ أسـباب الخـلاف بـين الجانبـين، الأخباريـين والتيَّـار الـولائي، التـي تسـببت في المخاصمـة بينهـما لدرجـة اتهـام التيَّـار الأخبـاري بالعمالـة لجهـاتٍ أجنبيـة، هـي مـا اعتـبره الولائيـون

ضربًا في أُسس وهُوية الدولة الإيرانية المعاصرة ما بعد 1979م، من قِبل الأخباريين الذين ينبذون التوليفة العرفانية الفلسفية والكلامية، في حين أنّ الدولة الإيرانية المعاصرة اعتمدت مدرسة الحكمة المتعالية هُويةً لها. كما تناولت الدراسة في المحور الرابع الأخباريُّون والنظرية السياسية، حيث لم تكن علاقة الأخباريين بالسلطة السياسية الشيعية في إيران سواء أكانت الصفوية، أو الخمينية المعاصرة، جيّدة، بل كانت في الغالب الأعم متوترةً لأسبابٍ دينيةٍ انسحبت على السياسيّة. ولفهم طبيعة الصراع بين النظام الإيراني الحالي، والتيار الأخباري، ناقشت الدراسة بالتفصيل طبيعة الصراع التاريخي بينهما: الأخباريّون والدولة الصفوية، والأخباريّون وولاية الفقيه.

وفي المحور الخامس والأخير تناولت الدراسة: الأخباريّون بين الكمون والاندثار، فبالرغم من ظنّ بعض الباحثين أنّ التيار الأخباري قد خفَتَ أو تلاشت مناهجه وأطروحاته اليوم، إلّا أنّه لا يزال موجودًا، وإن كانت الغلبة في العموم للتيار الأصولي بشقيه التقليديّ -الذي يتشارك مع الأخباريين في دعم خطّ الانتظار-، والحركيّ، لكن الروح والمؤلفات والتصنيفات والأنفاس الأخبارية تسري في أحشاء الحوزة العلميّة بمختلف توجهاتها.

ولاثبات ذلك استخدم أحد المفكرين منهج الاستنساخ التاريخي، ومنهج التجريد التاريخي. وبناءً على هذين المنهجين فإنّ العقل الأخباري قد يحمله أصوليّون ومحدّثون ومفسّرون، كما حصل في بعض الظروف التاريخية، ويمكن اليوم أن تكون هناك نزعةٌ أخباريةٌ في جوانية المدرسة الأصولية العقلية السائدة.

خلصت الدراسة إلى أنّ الدولة الإيرانية تعتبر الأخباريين خطرًا

عليهـا، ليـس بسـبب أدبياتهـم الثوريـة غـير الموجـودة، بـل بسـبب الـصراع عـلى تمثيـل المذهـب وتحديـد ضروراتـه والتـي يعمـل التيـار بقـوةٍ عـلى تشـكيلِ الوعـي العـام الشـيعي في هـذه المسـاحة. وقـد تسـبّب التيـار الأخبـاري في التأثـير عـلى السـاحة الفقهيـة والشـيعية، وأفـرز مـن تحـت عباءتـه عـددًا مـن التيـارات المناوئـة للنظـام، وهـذا في حـدٍّ ذاتـه مثّـل مصـدر إزعـاجٍ للنظـام الـذي يريـد أن يحتكـر الديـن كاحتـكاره للسـلطة، لأنّهـما لا ينفـكان في القـراءة الولائيـة.

المقدمة

يُعتبر التيَّار الأَخْباريّ في إيران من أقوى التيَّارات الدينية ذات التأثير في المشهد الحوزوي العام، وما يتبعه من انعكاسات على الساسة والسياسة، ذلك أنّ التيّار استطاع أنْ يتحوّل من مجرّد مدرسة فقهية لها أصولها، وضوابطها في فهم النصوص، والصناعة الفقهية، إلى تيّارٍ عامّ، أقرب إلى الآيديولوجيا، فخرجَ من ضوابط ومحدودية المدرسية والهرمية إلى مرحلة الشيوع والعموم، حتى انسحب تأثيره على جل التيَّارات والمدارس الأخرى حتى ولو لم تتبنَّ كل مقولاته.

ربما ساهم في إعادة النظر لهذه المدرسة الأخبارية تلك الضربات التي تعرضت لها بعد الثورة الإيرانية 1979م، واختفاء مشايخها ومنظّريها من الساحة الدينية والإعلامية، أو كمونهم، لصالح مُنظّري الثورة والنخبة الدينية الجديدة. كذلك فإنَّ التيَّار استولى على الساحة الدينية الشيعية لأكثر من مئتَي عام بعد تأسيسه على يد الأسترابادي، قبل كمونه بسبب عوامل متشابكة، بعضها خارجيّ كتدخّل السُّلْطة السياسية لتقوية التيَّار الأصوليّ على حساب الأخباريين، وبعضها داخليّ كجمود التيَّار عند الزمن الروائي دون إدراك عميق للواقع الديني والاجتماعي، فبدا كأنّه عاجز عن إيجاد الحلول الفقاهية والفتووية لعموم الناس، وهنا جاء دور التيَّار الأصولي الذي تبنى الاجتهاد وتجاوب كثيراً مع حاجات الناس. فهذا الواقع التاريخي في الحوزة والمشهد الديني لم يكُن ليمرّ دون عودة التيَّار أو أفكاره في التفاعلات الداخلية بالحوزة.

والتيَّار إن يبدُ في الأدبيات الشيعية المعاصرة خافتًا وغير مؤثر، فإنّ المتابع بدقة لأفكاره وفاعليتها في الساحة الشيعية عمومًا، والإيرانية خصوصًا (كردّ فعل على الآيديولوجيا)، يُدرك فاعلية التيَّار في الجماعة الشيعية على المستوى الفقاهي والسياسيّ، لكنْ يُمكن القول إنه كتيار مدرسيّ كامن بسبب ما تعرض له من اشتباك عنيف بعيد الثورة الإيرانية 1979م، لدرجة اتهامه بالعمالةِ والنشأة غير السوية من أحد أكبر منظّري التيَّار الولائي، مرتضى مطهري، وهذا الاتهام والاشتباك

الـذي تـوالى عـلى الأخباريـة بعـد الثـورة يـدلّ في ذاتـه عـلى فاعليـة التيَّـار في الحـوزة، والخشـية مـن عودتـه بقـوَّة، أو منافسـة التيَّـار الـذي يهيمـن الآن عـلى السـاحة الحوزويـة، إذ لا يمُكـن الاشـتباك مـع تيَّـار مندثـر.

ونسـعى في هـذه الورقـة لتحديـد مَواطـن الخـلاف بـين الأخباريـين والنِّظـام الإيـرانيّ مـا بعـد الثـورة، وكذلـك محاولـة فَهْـم موازيـن القـوى في البيئـة الشـيعية الأمّ، فالتيَّـار الأخبـاري يعتبر نفسـه التيَّـار الأصيل في الحوزة الشـيعية عمومًـا، والإيرانيـة عـلى وجـه الخصـوص، حيـث محـلّ النشـأة والانتشـار والتمـدّد، في حـين أنّ التيّـار الـولائي يعتـبر نفسـه في المقابـل المتحـدث باسـم المذهـب، وأنّـه الامتـداد الطبيعـي لخـطّ الأئمـة المعصومـين، في حـين ثمـة تيَّـار تقليـديّ انتظـاريّ حـوزويّ ثالـث يحـاول البقـاء في الـدرس الحـوزوي دون الاشـتباك في المسـائل الدينية-السياسـية مـع هذيـن التيَّاريـن، ومـن هنـا نشـأ مـا سـمّاه البعـض بالـصراع عـلى الإسـلام، أو الـصِّراع عـلى المذهـب والمعتمـد فيـه.

ونتناول هذه الدراسة من خلال المحاور التالية:

أوّلًا: مدخل.. التعريف بالتيّار الأخباري

الأخباريـون تيّـار شـيعيّ ينتسـب إلى الأخبـار[1]، أي الروايـات الـواردة عـن أئمـة آل البيـت، فالأخبـار عندهـم حجَّـة لا يجـوز مخالفتهـا أو التعامـل معهـا وفـق المنظومـة القواعديـة للاسـتنباط المتمثلـة في أصـول الفقـه، الـذي يعتبرونـه علـمًا سُـنِّيَّ المنشـأ ومِـن ثَـمّ يجـب مخالفتـه، إذ إنّ **مخالفـة العامَّـة** مـن الحجـج عنـد بعضهـم، ومـن المرجّحـات عنـد الآخريـن[2].

عـلى أيّ حـال، يُفـسِّرُ منهـجُ رجـالِ الحديـث الأخباريـين طريقـةَ التيَّـارِ في التعاطـي مـع النـصّ، فتصنيـف الكتـب الحديثيـة ينحـصر في انتخـاب الصحيح مـن وجهـة نظـر المُصنِّـف، وليـس مجـرد حشـد كل أو معظـم الروايـات الصحيحـة -سـندًا- في البـاب لمرحلـةٍ تاليـةٍ خاصّـةٍ بعمليـة الصناعـة الفقهيـة، ومنحـصرةٍ على الفقيـه العـارف بالقواعـد والأُصـول.

وفي حـين يعـزو بعـض الباحثـين نشـأة التيَّـار الأخبـاري إلى الشـيخ محمـد الأسـترابادي (ت: 1033هــ/1624م)، إلاّ أنّ الشـيخ الأسـترابادي نفسـه يعـزو

الأخبارية إلى التيَّار السائد في عصر ما قبل الغيبة، وعصر الغيبة الصغرى، وينسب أئمة كبارًا إلى هذا النهج[3]، كالشيخين الصدوقين: الشيخ الصدوق، ووالد الشيخ الصدوق، ومحمد بن يعقوب الكليني[4].

ولو سلَّمنا بأنّ الصدوقين والكلينيّ وغيرهم من رجالات الرواية معدودون من الأخبارية فإنّ منهجهم الانتخابيّ للروايات الدالّ على اجتهادهم الفقهيّ يبيّن طريقتهم في التعامل مع النصوص، وأنهم لا يحشدون الروايات لمجرد الحشد، أو لمرحلةٍ تالية هي من صميم عمل الفقيه الأُصوليّ، بل يسوقونها كاجتهاد فقهيّ معبِّرٍ عن مذهبهم ورؤيتهم للموضع محلّ الذكر. ولكن محسن كديور يعترض على كون الكُلَيْني من الأخبارية؛ لأنَّ الكُليني دعا إلى عرض الروايات على القرآن الكريم، اتباعًا لأمرٍ صادر من آل البيت، وذلك على العكس تمامًا مِمَّا يزعمه الأخباريون من ردّ فهمِ القرآنِ إلى الروايات، لا العكس[5].

لكنْ قد يُستدرَك على ذلك بأنّ الأستراباديّ عندما تجاذب الكُليني مع التيَّار الأصوليّ فإنّما قصد التوافق في الكليات والمنهج العامّ، لا التوافق في كلّ مسألةٍ على حدة، كما هو الحال مع التيَّار الأُصوليّ أيضًا.

وحسب الأستراباديّ فإنّ الأخبارية أخباريتان: واحدة قديمة، فهمت عن آل البيت والمعصومين، وسارت على دربهم، حتى تمّ الانقلاب عليها والالتفاف على علومها وطرائق تعاملها مع النصوص، ثمّ أخبارية حديثة تعمل على إحياء الأخبارية القديمة لتُعيد مركزية آل البيت والمعصومين، بعيدًا عن الدَّخَلِ السُّنّي والتأثر بعلومِ الآلةِ التي تعوق الأخذ المباشر عن المعصوم!

لكن كيف تمّ الانقلاب على الأخبارية القديمة لتتحوّل إلى كيانٍ منبوذ أو خافت على هامش المذهب، بعد أن كانت هي متنه الرئيسي، وقلبه النابض، والممثل الأصيل له بنظر الأستراباديّ؟ تذهب **شميتكه** وغيرها إلى أنّ الأستراباديّ «فرّق في كتبه بين مذهب متقدمي الإمامية في الكلام وأصول الفقه ومذهب المتأخرين. ففي حين كانت أصول الاعتقاد وأصول الفقه عند المتقدمين مأخوذة برمّتها من أقوال الأئمة المعصومين، ذهب المتأخرون إلى

أنّ الاستدلال العقلي معدود من طرق الوصول إلى الحقّ في هذين العلمين. وفي رأيه أنّ هذا التغيير إنما وقع تدريجيًّا في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حين أخذ محمد بن أحمد الإسكافي (ت: 951/340)، وابن أبي عقيل العماني (ت نحو: 951/340) بالاستدلال العقلي في بحوثهما الكلامية والأصولية على جهة التَّقِيَّة، ثمّ جاء الشيخ المفيد ولم يكُن يعلم أنهما فعلا ذلك تَقِيَّة، فاستكثر من الاستدلال العقلي في تصانيفه الكلامية والأصولية»[6].

وهنا بدا صراع حول الأصالة، فتُجوذبت الأصالةُ بين التيَّارات الحوزوية، فرغم أنّ الأخباريين يعتبرون أنفسهم خطّ التشيُّع الأصيل، فإنّ الأُصوليين يعتبرون الأخباريين ظاهرة دخيلة على المذهب، نشأت مع مقولات الأسترابادي، وأنّه لا صلة بينهم وبين القدامى، لا في مستوى المقولات ولا في مستوى المنهج.

وأطلق الأخباريون مصطلحات مثل «عمدة الأخباريين»، و«رئيس الأخباريين»، ونحو ذلك على العلماء القدامى كالصدوقين وغيرهما[7]، في محاولة لتثبيت أصالة التيَّار وربطه بالمؤسِّسين الأوائل.

وحاول التيَّار الأصوليّ في المقابل نزع أصالة الأخباريين، وأفردوا مباحث لتفنيد مقولاتهم في الكتب الأصولية، لكنَّ الذي وسَّع دوائر الهجوم عليهم في العصور المتأخرة وفي إيران «الإسلامية» هو الشيخ مرتضى مطهري (أحد مُنظّري الثورة وتلميذ للخميني)، ويبدو أنّ هذا الهجوم العنيف من مطهري على الأخباريين لم يكُن علميًّا محضًا، بل اعترته أسباب سياسية، واشتباك حول التمثيل والوجود والفاعلية، وصراع على دوائر التقليد.

ويذهب مطهري إلى أنّ التيَّار الأخباري لم يكُن موجودًا كمدرسةٍ علمية منضبطة في تاريخ الحوزة الشيعية، وأنّ منظومة الأُصول الأخبارية الممثلة في عدم حُجّية ظواهر القرآن، وعدم حجية الدليل العقلي[8]، وعدم جواز تقليد غير المعصوم، ونحوها، لم تكُن موجودة قَطّ عند القدامى كمنظومة استنباطية قبال منظومة أصول الفقه. فغاية ما كان عند القدامى هو العكوف على التحديث وسرد الروايات، أي الجوانب الروائية، وكانوا لا يُفتون إلا وفق تلك الروايات، لكن كثرة الحديث وقتئذ وحضور الأئمة رفع الحاجة

إلى التصدّي للاجتهاد والتفريع وردّ الأصول على الفروع[9].

ونلاحظ أنّ هذا الكلام من مطهري ساقه في أحد كتبه عن الدولة والثورة، مِمَّا يوحي بأنّ الأخباريين كانوا عائقًا أمام كليهما: الدولة والثورة.

ومن حيث لا يدري منحَ مطهري الأخباريين شرعية الأصالة أو على الأقلّ شرعية الامتداد والوجود، رغم أنّه سعى لنفيها، فالأخباريون لم يزعموا سوى مركزية الروايات، واكتفائهم بها في الفتوى على غرار أولئك القدامى الذين فعلوا نفس الشيء.

لكن من زاوية أخرى فإنّ الاكتفاء بالروايات دون اعتماد الأصول والقواعد الأصولية البدهية أو الإجماعية، سبَّب مشكلات متعلقة بالروايات المتناقضة أو المختلفة، فمآل الأمر إلى الخلاف أيضًا حتى بين الأخباريين أنفسهم، فكلّ عالِم سيرجّح رواية وفق اجتهاده في علم الرجال ووفق رؤيته للمنظومة الدينية متكاملة، ومِن ثَمّ فالقول مطلقًا إن اللجوء إلى محض الروايات يعصم من الخلاف أو يوصّل إلى المطلوب في نفس الأمر الذي كان عليه الأئمة المعصومون لا يخلو من استدراكٍ علميّ.

ثانيًا: أبعاد التمايز بين التيَّار الأخباري والأصولي

أدَّى عدد من الاختلافات الدينية إلى خلافات سياسية في ما بعد بين الأخباريين ومنظّري الثورة في إيران، وجعلتهم عرضة للملاحقة الفكرية الدائمة، رغم خفوتهم وكمونهم على هامش الحياة المذهبية في الآونة الأخيرة، نتيجة التشويه المنهج الذي تعرضوا له.

وهذه الخلافات بين الفريقين كثيرة ومتشعبة، وقد حصرها المرجع الديني جعفر السبحاني (المحسوب على الأصولية الحركية والنِّظام الإيرانيّ) في أربعين مسألة، أو بضعة أصول[10]. وهذه أهمّ الأُصول التي اختلف فيها الفريقان:

1. نبذ علم الأصول: من أهمّ أسباب التمايز بين التيَّار الأخباريّ والتيَّار الأصولي عمومًا بشقَّيه التقليديّ والحركيّ أن التيَّار الأخباري نبذ علم أصول الفقه برمّته، حتى بعد تكييفه وَفْقًا لأصول المذهب الجعفري، ذلك أنّه

-وَفْقًا للأخباريين- مستَمَدٌّ من المنظومة العلمية السنِّية[11].

والحقيقة أنّ الخلاف بين الفريقين أعمق من الوقوف عند سنّية علم الأصول أو عدم سنّيته، ذلك أنّ علم الأصول هو آلية الاجتهاد، والأخباريون يرفضون أيّ نوع من الاجتهاد في حضور النصّ/الرواية، بخلاف الأصوليين الذين يدركون محدودية الروايات قبال لا محدودية الوقائع، فلا مفرّ إذن من الاجتهاد.

ووَفْقًا لهذا الطرح الأخباري فإنّ سلطة رجال الدين على العوامّ ستتلاشى، بل يذهب الأخباريون إلى لوازم أبعد حين يقولون إنّ بقدرة كلّ شخص أن ينظر مباشرة في النصوص الروائية دون وسيط، ويمكنهم بلوغ الحقيقة؛ لأنّه لا اجتهاد مع النصّ الوارد عن المعصوم[12]. لكن لا يلزم من ذلك الدعوة إلى الاستغناء التام عن رجال الدين والفقهاء ولجوء كل العوامّ إلى النصوص مباشرة. فلا أظنّ أنّ هذا هو الهدف الذي يَنْشُده الأخباريون، بل ربما قصدوا من هذا الطرح تحرير المقلّد من الخضوع التام الذي يُعززه الأصوليون، ويفرضون هيمنتهم من خلاله.

2. مركزية الروايات: نسَبَ الأسترابادي إلى أئمة الشيعة الأوائل الذين زعَم انتسابَهم إلى التيّار الأخباري، كالصدوقين والكليني وغيرهم، اعتقادَهم أنه «لا مدرك للأحكام الشرعية النظرية فرعية كانت أو أصلية إلا أحاديث العترة الطاهرة»[13]، أي لا القرآن ولا العقل، إنما الرواية فقط[14].

والروايات في نظر الأسترابادي متضمنة لكل القواعد القطعية التي تسدّ مسدّ «الخيالات العقلية»[15]. والخيالات العقلية تلك هي أصول الفقه والبيان والنحو والصرف، وكلّ علوم الآلة؛ لأنّ الفتاوى لديهم لا تقوم إلا على دلالات واضحة صارت قطعية بمعونة القرائن، ومِن ثَمّ ادّعى قطعية الكتب الحديثية الأربعة.

يقول محمد أمين الأسترابادي: «من الوجوه الدالة على صحة أحاديث الكتب الأربعة مثلًا باصطلاح قدمائنا، أننا نقطع قطعًا عاديًّا بأنّ جمعًا كثيرًا من ثقات أصحاب أئمتنا -ومنهم الجماعة الذين أجمعت العصابة

على أنهم لم ينقلوا إلا الصحيح باصطلاح القدماء-صرفوا أعمارهم في مدة تزيد على ثلاثمئة سنة في أخذ الأحكام عنهم، عليهم السلام، وتأليف ما يسمعونه منهم، وعرض المؤلفات عليهم، ثم التابعون لهم تبعوهم في طريقتهم واستمرّ هذا المعنى إلى زمن الأئمة الثلاثة»[16].

وقوله بقطعية الكتب الروائية الأربعة لا في مجملها فحسب، بل في المجمل والتفصيل، أدَّى إلى إلغائه لعلم الرجال. فقالوا إنّ كتب الروايات، بخاصة الكتب الأربعة، صادرة من إمام معصوم لا محالة، فليس لأحد أن يقدح في صحتها أو يتشكك في نسبتها، ومِن ثَمّ فلا حاجة إلى علم الرجال أو علم الدراية، خصوصًا أنّ هذه الكتب جُمعت في عهد الأئمة، وعمل بها الناس فاستحال الكذب فيها أو عليها.

لكن هذا الطرح لم يرُق مرتضى مطهري الذي هاجم هذا التوجه بقوله: «وقد استغلّ بعض الدجالين هذه الحالة ودسّوا في الروايات ما شاؤوا من الأكاذيب دون أن يواجهوا أي معارضة من الأخباريين. وسبب هذا الموقف جلب العار علينا حقًّا، ولولا معارضة المجتهدين لهذا التيَّار لكان يثير المتاعب للمسلمين حتى يومنا هذا»[17].

3. مهمَّة الفقيه: فمهمَّة الفقيه عند الأخباريين هي الاقتصار على نقل رأي المعصوم دون التدخّل برأيه، فالفقيه بنظر الأخباريين تقتصر مهمّته على أن يكون مجرّد راوٍ لأحاديث النبي والأئمة المعصومين، فكانت الفكرة الرئيسية عند الأخباريين: لماذا يجب أن يجتهد الإنسان العادي المكلف غير المعصوم أمام قول المعصوم؟[18]. وهذا ما اعتبره البعض ردّ فعل طبيعيًّا على ما اقترفه فقهاء الدولة الصفوية من تبرير للسلاطين الصفويين[19]. لكن حتى مع اكتفاء العالِم أو الفقيه الأخباريّ بمجرّد حشد الروايات، فإنه كما أشرنا سيُواجَه بإشكالية عميقة متعلقة بالروايات المتناقضة أو المختلفة، ومِن ثَمّ سيضطرّ اضطرارًا إلى انتخاب بعضها دون الأخرى؛ لأنّ إعمال الجميع نوع من الجمع بين النقيضين، وهو محال، إلا إذا لجأ إلى الجمع والتأويل، وذلك إن استُسيغ في بعض الروايات فلن يُستساغ في أخرى.

4. ضد العقلانية: ينظر الأصوليون إلى الأخباريين في الدرس الحوزوي المعاصر على أنّهم تيَّار مصادم للعقل، وضد العقلانية، وهذه هي الصورة الشائعة للأخبارية في الدوائر العلمية، وترسخت هذه الصورة بالتشويه العلمي المنهج الذي تعرضت له المدرسة الأخبارية من فلاسفة ومُنظّري الخطّ الولائي في إيران المعاصرة على وجه التحديد.

لكنها في الحقيقة صورة لا تخلو من تبسيطية واختزالية، فحسب روبرت غليف (Robert Gleave) فإنّنا نجد في النصوص الأخبارية «نقاشًا معقدًا ومفصلًا مرتبطًا بصحّة مصادر الوحي ووثاقتها، فمن خلال تفاعل الأخباريين الداخلي ومقاصدهم يمكن فهم رسالتهم أو جعلها مفهومة»، وبالنسبة إلى العقل عندهم «فليس مرفوضًا تمامًا، إنما ثمة تعديل في وظائفه، وتحديد لقواه»[20].

ثالثًا: الأخباريون وإيران المعاصرة.. الخلاف العميق

هناك خلاف بين المدرسة الأخبارية وإيران المعاصرة لا يقلّ في عمقه عن الخلاف التاريخي الأخباري-الأصولي، بل يمكن القول إنّ الخلاف التاريخي كاد أن يتلاشى لولا أنّه تمّ إذكاؤه من قِبل الفلاسفة الإيرانيّين المعاصرين من المنتمين إلى الخطّ الولائي. ويمكن القول أيضًا إنّ الخلاف بين الجانبين اعتبره البعض خلافًا نظريًّا لا حقيقيًّا في نفس الأمر، أو أنّه على أقصى تقدير خلاف حول هامش المذهب لا حول متنه وضروراته، كما نجد في عبارات الميرزا الأصفهاني قديمًا، وعبارات آية الله حسين منتظري[21]، وآية الله محمد سعيد الحكيم من المعاصرين، وكذلك نجده في اعتماد المدرسة الأصولية بكل أجنحتها اعتمادًا كليًّا على رجالات الأخبارية الأوائل والمتأخرين، كالكليني والطبرسي والكاشاني ونعمة الله الجزائري، وغيرهم، مِمَّا يؤكّد على طبيعية الخلاف القائم بين المدرستين وإمكانية التعايش في ظلّه[22]، بل إنّ كثيرًا من الأصوليين «ظلّوا يمارسون عمليًّا نهجًا قريبًا من الأخباريين في تقبُّل كثير من الروايات والحكايات التاريخية دون تمحيص أو اجتهاد»[23].

لكنّ النخبة الدينية الإيرانية المعاصرة كان لها رأي آخر تجاه التيَّار بسبب خلافات عميقة لا يمكن قبولها من وجهة نظر تلك النخبة. ويرجع هذا

الرفض في التقريب إلى الحكومة الإيرانية وليس إلى المدرسة الأخبارية، ذلك أن الحكومة الإيرانية تصارع على تمثيل الدين والمذهب، ويعتريها القلق إزاء أي نموذج معرفيّ يشتبك معها معارفيًّا في تلك المساحات التي ترى أنّها خالصة لها، وأنها داخلة تحت سلطة الوليّ الفقيه وحده، وليس لأحد أن ينازعه تلك السُّلْطة. علاوة على أنّ الحكومة الإيرانية تستمدّ نموذجها العنيف تجاه الأخباريين من النموذج الصفوي الذي كان يعادي الأخباريين أيضًا، ونَصَر المدرسة الأصولية عليهم.

وأهمّ أسباب الخلاف بين الجانبين، الأخباريين والتيَّار الولائي، التي تسببت في المخاصمة بينهما لدرجة اتهام التيَّار الأخباري بالعمالة لجهات أجنبية، هي ما اعتبره الولائيون ضربًا في أُسس وهُوية الدولة الإيرانية المعاصرة ما بعد 1979م، من قِبل الأخباريين الذين ينبذون التوليفة العرفانية الفلسفية والكلامية، في حين أنّ الدولة الإيرانية المعاصرة اعتمدت مدرسة الحكمة المتعالية هُويةً لها، وهي المدرسة التي عَادى مؤسِّسها الملا صدرا التيَّار الأخباري واشتدّ عليه، وبادله الأخباريون نفس العداء، مِمَّا تسبب في انسحاب هذا الخلاف التاريخي إلى الواقع المعاصر. فالملا صدرا يصف الأخباريين بقوله: «وقد ابتُلينا بجماعة غاربي الفهم تعمش عيونهم عن أنوار الحكمة وأسرارها، وتكلّ بصائرهم كأبصار الخفافيش عن أضواء المعرفة وآثارها، يرون التعمق في الأمور الربانية والتدبر في الآيات السبحانية بدعة، ومخالفة أوضاع جماهير الخلق من الهمج الرعاع ضلالة وخدعة، المتشابه عندهم الواجب والممكن، والقديم والحديث لم يتعدّ نظرهم عن طور الأجسام ومساميرها، ولم يرتقِ فكرهم عن هذه الهياكل المظلمة ودياجيرها»[24].

وقد أفتى المجلسي -وهو أحد المحسوبين على التيَّار الأخباري- عام 1106هـ/1694م للشاه حسين الصفوي بإجلاء الصوفية عن أصفهان العاصمة، ومنع إقامة الأذكار، وتحريم ممارسة كل تقليد يتصل بالتصوف[25]، مِمَّا يدلل على موقف المدرسة الأخبارية من العرفان الذي تتبناه إيران المعاصرة، وهذا من أهمّ معالَم الخلافات القائمة بين الأخبارية والحكومة الإيرانية، الخميني وما بعده[26]. وربما هو من الأسباب الرئيسية لهجوم

مطهري على التيَّار، ذلك أنه ينسف هُوية النخبة الدينية الحاكمة ما بعد 1979م. ومعلوم أنّ مدرسة صدر المتألهين هي المسيطرة على المناخ الفلسفي الإيراني المعاصر، وكان للخميني والطباطبائي أكبر الأثر في ذلك[27]، ومِن ثَمّ فالهجوم على تلك المدرسة أو الانتقاص منها يعتبر انتقاصًا من الخميني الذي أحياها وتبنّاها واعتمدها في قراءته ونظام ما بعد الثورة[28].

والمفارقة أنّ التيَّار الأخباري يلتقي في هذا الموقف من العرفان والفلسفة مع الحوزة النجفية والتيَّار التقليدي غير الحركي، إذ إنّ النجف تنبذ الدرس الكلامي والفلسفي، وتراه معوّقًا ومُشوّشًا لعملية الصناعة الفقهية، وهو ما يثير الحركيين في الخطّ الولائي، إذ إنّ التدليل على ولاية الفقيه المطلقة ارتكز على الدليل الفلسفي والعرفاني أكثر من ارتكازه على أدلة نقلية ونصوصية، ومِن ثَمّ فإنه قد نُظر إلى الأخباريين باعتبارهم خصومًا حقيقيين.

ويهدف الأخباريون -حسب البعض- من وراء نبذ المنطق والفلسفة والتصوف إلى إلغاء المرجعية الدينية الصارمة لرجال الدين، والتي توجب التقليد وتغلق الباب أمام العوامّ للنظر في النصوص الروائية، وهي نقطة مفارقة بينهم وبين الأصوليين عمومًا حتى غير الحركيين؛ لأنّ مقتضى هذا القول هدم سلطة رجال الدين، ومِن ثَمّ تأثير ذلك على مركزيتها ووضعها المالي.

فيؤكّد الأخباريون أنّ «هناك سلطة فقهية واحدة هي سلطة الإمام الغائب صاحب الولاية في هذا الزمان، وفي ظلّ ظروف كهذه لم يكُن هناك عمليًّا سوى مجتهد واحد فحسب ينبغي للمؤمنين تقليده واتباعه، هو الإمام الغائب»، ومِن ثَمّ فقد شكّل هذا الموقف من الأخباريين «مصدر تهديد للمكانة الاجتماعية التي يحوزها الفقهاء المؤهَّلون تأهيلًا عاليًا، وذلك لإصرارهم على قدرة المؤمن على بلوغ الخلاص بواسطة التأمل العميق لمصادر الدين المتمثلة في القرآن والسنَّة»[29]، دون احتياج إلى الفقيه[30].

ويمكن القول إنّ الخلاف بين الجانبين خلاف على مستوى الجذور، على الأقل من وجهة نظر النخبة الدينية الإيرانية الحاكمة، ومِن ثَمّ اتُّهم الأستراباذي -مؤسِّس التيَّار الأخباري- من مُنظّري الثورة الإيرانية بأنّه

«عميل مجهول عاش بعيدًا عن عواصم الشيعة المركزية»[31].

لكن لا يمكن القول إنّ كل الأصوليين نحوا منحى الهجوم على الأخباريين وتسقيطهم، بل إنّ العَلاقة بين الجانبين كادت أن تترمّم ويكون الخلاف جزءًا من التاريخ العلمي والسياسي، بيد أنّ ما فعله منظّرو النظام الإيراني وعلى رأسهم مرتضى مطهري من تشويه مُمَأْسَس للأخباريين زاد الفجوة بين الجانبين[32]، وقطع أيّ محاولات للتقريب، لا سيّما بين الأجنحة الأصولية الإيرانية وبين التيَّار. لكن أجنحة من الأصوليين خارج إيران وتحديدًا في النجف لا ترى أيّ داعٍ لهذا الخلاف العميق والمتجذر بين الجانبين، ولا أيّ مبرر علميّ، ذلك أنّ كبار العلماء من المحدثين الذين يُعتمد عليهم من المدرستين الأصولية والأخبارية مشتركون بين الجانبين، وأيضًا فإنّ أي كلام حول فتح أبواب الاجتهاد لدى الأصوليين إنما هو منحصر في مسائل قليلة جدًّا، لم ترِد فيها نصوص صريحة عن الأئمة المعصومين.

وممن حاول الجمع والتقريب بين وجهتي النظر، وذهب إلى أنّ الخلاف ليس حقيقيًّا وإنما هو خلاف لفظيّ بسبب عدم تحرير محلّ النزاع[33]، المرجع الديني آية الله محمد سعيد الحكيم. وعلى كُلٍّ فهؤلاء التوليفيون هم في الأغلب من مراجع النجف، أو من مراجع قم غير المحسوبين بالكلية على الخطّ الولائي، كالوحيد الخراساني وغيره.

رابعًا: الأخباريُّون والنظرية السياسية

لم تكن علاقة الأخباريين بالسلطة السياسية الشيعية في إيران سواء أكانت الصفوية، أو الخمينية المعاصرة، جيّدة، بل كانت في الغالب الأعم متوترةً لأسبابٍ دينيةٍ انسحبت على السياسيّة. فالأخباريّون لم يؤمنوا بدولةٍ في ظلّ غياب المعصوم، ولم يُفكّروا في شكل الحكم، وشروط الحاكم في ظلّ غياب المعصوم؛ لأنّ من شرط الإمام في الفقه التقليدي الشيعي أن يكون معصومًا، حتى يُحقّق العدل الكامل للرعية، ويملأ الأرض عدلًا بعد أن مُلئت جورًا. أي أنّ نظريتهم السياسية لا تختلف عن موقف التقليديين والحوزويين الأُصوليين من السياسة في ظلّ غياب المعصوم، وهنا يتقاطع الأخباريّون والأصوليون التقليديون في مواجهة التيّار الولائي الذي لم يرُق له هذا الطرح، ولا يراه مقبولًا مذهبيًّا، ومن ثمّ اتسعت مواجهة الولائيين لتشمل

كافة غير المؤمنين بالولاية المُطلقة للمرشد الأعلى ولم تنحصر في الاشتباك مع الأخباريين وحدهم.

وقد نظر الأخباريّون إلى أيّة سلطةٍ سياسيةٍ تتحدّث باسم المعصوم في غيابه على أنّها سلطةٌ غير شرعية، تنتهك صلاحياته وتستلبها، وفي ذلك يقول حيدر **حب الله**: «الأخباريّون في نموذجهم التاريخي لم يكونوا على علاقةِ ودٍّ مع السلطة، وأركّز هنا على السلطة المنتمية للداخل المذهبي (أي السلطة الشيعية). إنّ العزلة عن مواكب هموم السلطة سيفضي إلى تقييم خاصٍّ لتصرفات الحاكم، وسيعزز ذلك عملية النقد على أيّ تبريرٍ دينيٍّ لممارسة السلطة، وهذا ما يلغي بشكلٍ ما العناصر الدينامية في العقل الفقهي والقانوني؛ لأنّه سيعتبرها عناصر مخارجة للنص. إنّ عدم فهم المعارضة لحاجات السلطة وعدم فهم السلطة لهموم المعارضة قد يؤدي أحيانًا إلى تعطيل حركة فئة المعارضة، ويدفعها لليأس من النموذج القائم، وليس أمام العقل الديني سوى نموذج القرون المفضلة أو التاريخ كي تنادي به وتعيش معه، وهنا تنمو العقلية الأخبارية. من هنا نترقّب في الفريق الذي لا ينفتح على قضايا السلطة أن يحمل رد فعلٍ سلبي تجاهها، ما سيعزّز في هذا الفريق نواة العقل الأخباري»[34].

لكن المسألة في نظري أكبر من سدِّ مساحات التواجد، وعدم تفهم السلطة لهموم المعارضة أو العكس، فالمسألة ليست وقتية أو ظرفية بقدر ما هي اختلافٌ حقيقيٌّ في دوائر الجذور بين الجانبين مما أوجد عدم التفهم المتبادل، الذي يجيءُ كنتيجةٍ طبيعية للخلاف الجذري بينهما، وإرادة كلّ طرفٍ احتكار تمثيل المذهب، وغلبة الطرف الذي يمسك بزمام السلطة على الطرف الذي لا يملك الدولة والسلطة، مما وسّع دوائر الخلاف المُعلن والدفين بين الجانبين.

ولمزيدٍ من فهم طبيعة الصراع بين النظام الإيراني الحالي، والتيار الأخباري، ينبغي أن نفهم طبيعة الصراع التاريخي بينهما، أي ذلك الصراع المتمحوِر حول النماذج أو ما يُمكن تسميته بالصراعِ على تمثيل المذهب، بغضِّ النظر عن الأشخاص والدولة، لأنّ صراع النماذج التاريخي انسحب على المشهد الديني والسياسي الإيراني المعاصر.

1. الأخباريّون والدولة الصفوية

رغم أنّ المنهج الأخباري لا يؤمن بالسياسة في ظلّ غياب المعصوم، إلّا أنّ هناك أسبابٌ متشابكةٌ للغايةِ أدّت إلى احتكاكهم بالسياسةِ، بعضها شخصي يرجع إلى العالِم أو الفقيه، بحيث يريد بعض المنافع الشخصية من جانب السلطة السياسيّة التي تجيد استقطاب العلماء لترسيخ شرعيتها. وهذا الأمر مفهومٌ في سياق تاريخ المؤسسات الدينية عمومًا، فإنّ مداخيل العلماء إمّا أنّها تتأتى من الصنائع وهذا يعيقُ عملهم العلمي والفتووي، وإمّا من جانب بيت المال ومن ثمّ السلطة السياسية التي تُشرف عليه، أو من الأوقاف التي كانت في أغلب الأحوال تُرصد من قبل نافذين في السلطة السياسية، أو من أهل الخير، وفي كلتا الحالتين كانت تتعرّض لتقنينٍ وتدخلّاتٍ من جهاز الدولة. وأشهر خلاف في هذا الصدد -لا يزال أثره جاريًّا في المشهد السياسي والفقهي الشيعي إلى اليوم- ما جرى بين المحقِّق الكركي والشيخ إبراهيم القطيفي بسبب مشروعية أخذ الفقيه من عطايا السلطان (الشاه)، والمراد من الهدايا: العطايا الثابتة التي يتلقّاها الفقيه وهي أشبه بالراتب الجاري.

والعامل الأهم لاقتراب الأخباريين من السلطة السياسية الصفوية، هي اشتباكهم مع التيار الأصولي في مساحاته، والخصم من رصيده في تلك المساحات، ومن ثمّ التفرد بالزعامة الدينية والروحية، ذلك أنّهم أدركوا أنّ الابتعاد التام عن السياسة في عهد الصفويين تسبّب في غلَبة التيار الأصولي الذي تقربت أجنحةٌ منه إلى السلطة، واستولوا على المؤسسات الدينية الحكومية. ومن ثمّ تعاون الأخباريّون مع السلطة الصفوية بعد أن ساءت العلاقات بين الصفويين والأصوليين. فلم يكونوا إذن بمنأى عن السلطة السياسية في كلِّ مراحل التاريخ بل في أغلبه، لا لكونهم معارضون سياسيون بل لكون طرحهم السياسي -فقه انتظار المعصوم- لا يجد قبولًا عند السلطة السياسية التي تريد من يضفي عليها الشرعية لا من ينزعها عنها.

وفي بعض المراحل ارتأت السلطة السياسية أنّه التيار الآمن، والضامن لاستمراريتها، إذ لا مطمع له في الحكم والدولة، أو الوصاية على عمل الشاه. وحسب البعض فقد «استثمر الشاه عباس (1629م) واقع إبعاد العلماء

عـن قـرارات الدولـة بمسـاندته التيـارات التـي تصـارع أصوليـة النجـف، فقـد مـال إلى السـلفية الشـيعية مـن أجـل تسـويق فكـرة أنّ التشـيّع أمـرٌ دينـيٌّ محـض ولا يمكـن أن يجـاري تعقيـدات السـلطة الدنيويـة، فالأصلـح لـه أن يتوجّـه إلى مـا يهـمّ حيـاة الفـرد الشـخصية الدينيـة، وارتباطاتهـا بمـا يحقّـق هويـة انتماءاتهـا، وهـو التعلّـق بالأئمـة وأخبارهـم وزياراتهـم والتـبرّك بهـم، ومـا إلى ذلـك. وهـو منهـجٌ أخبـاريٌّ مـع أنّ الأصوليـة لا تخلـو منـه، مـع اختـلافٍ في التخريجـات. وهنـا نـرى القضيـة السياسـية تتجـلّى في أوجِ صورهـا عندمـا ردّ أحـد علـماء الأصوليـة بكتـابٍ أهـدى مقدمتـه إلى سـلاطين الهنـد، وهـو عبـد اللـه قطـب شـاه (1672م) وهـي محاولـةٌ مـن التيـار الأصـولي في إشراك الهنـد ليقـف ضـد إيـران التـي سـاندت ظاهريًّـا التيـار الأخبـاري في ذلـك الوقـت» [35].

ولكـن هـل حـاول التيـار الأخبـاري الانقضـاض والقفـز عـلى السـلطة عندمـا وهـن الأصوليـون في عهـد الصفويـين؟ يقـول جـواد شـبر: «لا، لم يمُـارس الأخباريّـون أيّ رغبـةٍ نحـو السـلطة، ولم يصـدر منهـم -في نفـس الوقـت- أيّـة إشـارةٍ إلى أنّ سـلطة الصفويـين هـي سـلطةٌ شرعيـةٌ، كـما أفتـى لهـم بذلـك الأصوليـون، بـل اعتـبروا تلـك السـلطة دولـة غصبيـة، ولكـن ليـس مـن مهامهـم محاربتهـا أو الوقـوف ضدهـا، بـل بالعكـس التعـاون معهـا بشـكلٍ مطلـق»[36].

ومعنـى ذلـك أنّ الأخباريـين لم يملكـوا طرحًـا سياسـيًّا ولا رؤيـة للدولـة والحكـم، في حـين أنّ الأصوليـين كانـوا يتدخّلـون في السياسـة بأطروحـاتٍ مختلفـة، سـيما ذلـك الجنـاح الـذي يؤمـن بثنائيـة (الفقيـه والسـلطان)، أي المشـاركة بينهـما والتعـاون في الحكـم وإدارة الدولـة، وهـو الجنـاح الـذي يرجـع بجـذوره إلى المحقـق الكـركي[37]، وهـو مـا أزعـج السـلطة السياسـية في مراحـل كثـيرة، لذلـك دعمـت الخـطَّ الأخبـاري وتقويتـه في فـترةٍ مـن الفـترات.

وحسـم الأخباريّـون المعركـة لصالحهـم لفـترةٍ طويلـة، حتـى تحوّلـت الكفّـة مـرةً أخـرى لصالـح الأصوليـين عـلى يـد الوحيـد البهبهـاني الـذي دخـل في جـدلٍ ومعـاركَ مـع زعيـم الأخباريـين في كربـلاء وقتئـذٍ الشـيخ يوسـف البحـراني، حتـى اسـتتبّ الأمـرُ للبهبهـاني والأصوليـين.

وأخـيرًا، فيُمكـن القـول إنّ الاقـتراب بـين الأخباريـين والسياسـة لم يكـن إسـتراتيجيًّا بـل كان براجماتيًّـا إلى حـدٍّ كبـير، مـن أجـل حفـظ بيضتهـم،

ومصارعة الأصوليين من خلال السلطة السياسية. ولم يحدث تحوّرٌ على منهجهم وكليّاتهم التي يعتمدونها بسبب السياسة، وقد رجعوا إلى الحوزة والدرس الديني دون خسارة قواعد كبيرة بسبب عملهم السياسيّ، وأمكنهم أن يعيدوا إنتاج أنفسهم في العصر الراهن تحت مسمياتٍ مختلفة تستقي المنظومة الأخبارية في الفهم والاستنباط، كالتفكيكيين، والشيرازيين، وتياراتٍ أخرى، بل وصل الأمرُ إلى تأثّر الأصوليين أنفسهم بالمنهجية الأخبارية في كثيرٍ من المسائل.

2. الأخباريّون وولاية الفقيه

تستندُ نظرية ولاية الفقيه إلى الأدلة المصلحية والفلسفية والعرفانية أكثر من استنادها إلى أدلةٍ نقليّة، ومن ثمّ فإنّ هذا في حدّ ذاته مخالفٌ لما عليه الأخباريّون -أو لما هو شائعٌ عنهم- من تنحية الدليل الفلسفي والعرفاني في الحكم الشرعي.

يؤمن الأخباريّون أيضًا بأنّه لا حكومة في ظلّ غياب المعصوم، لأنّ إقامة الحكومة تحتاج إلى معصومٍ على رأسها كي لا تعتريه العوارض البشرية أو تتأتّاه خوارم العدالة، وهذا غير متوفّرٍ في غير المعصوم.

وإذا كان القولُ بولاية الفقيه بقراءتها الخمينية -وغير الخمينية- هو قولٌ طارئٌ على المباني الفقهية للمذهب، وهو وإن كان مذكورًا في تراث بعض القدماء إلّا أنّه لم يكن مركزيًّا ولا داخل المتن، بل كان على الهامش، كبقية الآراء والأقوال الهامشية والتي لا يُمكن تفعيلها إلّا بتغييراتٍ اجتهادية على مستوى الاجتهاد، والعوائد والأعراف، وهي وإن فُعّلت فلا يُمكن نقلها من الهامش إلى المتن، أو نقلها إلى دوائر الضرورات والقطعيات، فإذا كان القول بولاية الفقيه طارئٌ على المذهب فمن الطبيعي أنْ نجد نفورًا واعتراضًا من الأخباريين على النظرية برمتها بوصفها نظرية شاذة دخيلة على الفقه الشيعي، وليس لها أي امتداداتٍ أو جذورٍ في العقلية الفقهية الشيعية قديمًا، أو التراث النصوصي والنقلي عن المعصومين.

ولذا يؤمن الأخباريّون بعدم شرعية أيّ حكومةٍ تنشأُ في ظلِّ غياب المعصوم، وأيّ إمامٍ لتلك الحكومة فهو مغتصبٌ لحقٍّ وصلاحياتِ المعصوم[38]، ومن جملة ما يستدلون به قول الصادق: «كلُّ رايةٍ تُرفع قبل قيام القائم

فصاحبها طاغوتٌ يعبد من دون الله[39]».

وحسب البعض فإنّ الأخباريين: «ظلوا يشكّلون عبر التاريخ خطّ الانتظار، أو الحتمية التاريخية، كما تُسمّى، المتمثل بظهور الإمام المهدي، حيث يتحقّق العدل وتُملأ الأرض عدلًا وقسطًا، كما مُلئت ظلمًا وجورا[40]». والحقيقةُ أنّه ليس الأخباريين وحدهم من مثّلوا خطَّ الانتظار، فإنّ أصل المدرسة الأصولية التقليدية مثّلت هذا الخط، ونظّرت له فقهيًّا، أكثر من تنظيرات الأخباريين الذين تمسكوا بمحض الروايات دون ولوجٍ للجانب الدرائيّ، ولا يهدم هذا كون بعض أجنحةٍ من الأصوليين شاركت السلطة السياسية في مراحل تاريخية، فإنّ هؤلاء الذين شاركوا السلطة السياسية في بعض المراحل، لم يعبّروا عن السواد الأعظم للمذهب وقتئذ[41].

ولمّا استطاع الصفويون تدجين بعض فقهاء الأصوليين كان للملا الاسترابادي -زعيم الأخباريين- ردّ فعلٍ إزاء تدخل الفقهاء في السياسة وتبريرهم للأفعال السلطانية [42]، ذلك التدخل والتبرير الذي وصل مع الكركي إلى ما يشبه الانقلاب على الثوابت الشيعية المتوارَثة.

فرفض الأخباريّون نظرية الكركي (النيابة العامة السياسية) ونبذوا تحالف (الفقيه والسلطان) الذي أسّسه الكركي، وهنا أخذ الصراع المرير بين الأصوليين والأخباريين منحىً علميًّا منهجيًّا في منظومة الاستنباط وإن كان في الحقيقة له بعض الجذور السياسيّة حول الإمامة والنفوذ والتقرّب من دوائر السلطة، وغصبية الحكومة في ظلّ غياب المعصوم.

خامسًا: الأخباريّون بين الكمون والاندثار

كان الشيعة في الجزيرة العربية -خاصةً البحرين- أول من انحاز إلى الخط الأخباري الحديث الذي تبلور على يد الاسترابادي، ثم سرى ذلك إلى بقية مناطق العراق وإيران ذاتها[43]. ويظنّ بعض الباحثين أنّ التيار الأخباري قد خفَتَ أو تلاشت مناهجه وأطروحاته اليوم، لكن الواقع أنّ التيار الأخباري لا يزال موجودًا، وإن كانت الغلبة في العموم للتيار الأصولي بشقيه التقليديّ - الذي يتشارك مع الأخباريين في دعم خطّ الانتظار-، والحركيّ، لكن الروح والمؤلفات والتصنيفات والأنفاس الأخبارية تسري في أحشاء الحوزة العلميّة بمختلف توجهاتها، ولا يُمكن بحالٍ الانفكاك عن التراث الأخباريّ سيّما

الـروائي، لأنّـه بمثابـةِ الـتراث الشـيعي عمومًـا عـلى المسـتوى الـروائي والنقـليّ.

ويُجيـب أحـدُ المفكريـن عـلى تسـاؤل: هـل توجـد اليـوم مدرسـة أخباريـة؟ بقولـه: «قـد نسـتخدم منهجـين: الأول: منهـج الاستنسـاخ التاريخـي، والثـاني: منهـج التجريـد التاريخـي. ففـي المنهـج الأول نـدرس الحركـة الأخباريـة العريقـة التـي عرفهـا تاريـخ التشـيّع، وننظـر في واقعنـا المعـاصر لنجـد نسـخةً أخـرى مطابقـةً لهـذه الحركـة، وقـد نـرى أنّ الأخباريـة تراجعـت لكنّهـا بالتأكيـد لم تندثـر، خلافًـا لمـا يـراه بعـض الباحثـين[44]. أمـا في المنهـج الثـاني فنطالـع تاريـخ الأخباريـة لكـن لا نجعـل النمـوذج التاريخـي نسـخةً أصـل، لإسـقاطها عـلى النمـوذج المعـاصر، وإنّمـا نجـرِد هـذا التاريـخ مـن العنـاصر الشـكلية الزمكانيـة التاريخيـة، ونأخـذ جوهـر هـذه الحركـة ولبهـا، ثـم نفتّـش لـه في واقعنـا عـن نسـخة بديـل[45]».

وبنـاءً عـلى هذيـن المنهجـين فـإنّ العقـل الأخبـاري قـد يحملـه أصوليّـون ومحدّثـون ومفسّرون، وليـس مـن الـضروري التبايـن والقطيعـة بـين تلـك الأطـراف، كـما حصـل في بعـض الظـروف التاريخيـة، ويمكـن اليـوم أن تكـون هنـاك نزعـةٌ أخباريـةٌ في جوانيـة المدرسـة الأصوليـة العقليـة السـائدة، فكثـيرٌ مـن الأصوليـين المعاصريـن يسـتريحون للـرأي الأخبـاري، فيقدّمـون النقـل عـلى العقـل مطلقًـا، ثـم يحـصرون عمـل العقـل في جوانـب محـدودة، تخرجـه مـن الدائـرة التـي يُفـترض أن يكـون فيهـا، أي كونـه مصـدرًا للتشريـع موازيًـا للكتـاب والسـنة[46]، وهـو مـا وجدنـاه عنـد كثـيرٍ مـن العقليـات الأصوليـة المعـاصرة، فالسـيد كـمال الحيـدري عـلى سـبيل المثـال يقـول بعلـم الأئمـة للغيـب، واعتمـد في ذلـك عـلى روايـاتٍ ضعيفـةٍ إذا وُضعـت عـلى المحـكّ العلمـي للأصوليـين[47]، وكذلـك اعتقـاد الخمينـيّ أنّ الأئمـة مخلوقـون مـن نـور، مـع أنّـه لا يوجـد دليـلٌ صحيـحٌ صريـحٌ في ذلـك عـلى منهـج الأصوليـين[48]. ولكـن قـد يُسـتدرك أيضًـا بـأنّ هـذه المشـارب لا ترجـع بجذورهـا إلى الأخباريـين الأوائـل بـل إلى الغـلاة بتعبـير محسـن كديـور في (القـراءة المنسـية).

وهنـاك عـددٌ مـن التيـارات الفكريـة اليـوم يُمكـن عدّهـا منضويـة تحـت المظلة المنهجيـة للأخباريـين، أو متقاطعـة معهـا في مُحـدّدات لا يُمكـن تجاهلهـا، مثـل التيـار الشـيرازي حيـث إنّ مؤسّسـه السـيد محمـد الشـيرازي كان يؤمـن بالمنهـج الأخبـاري في كثـيرٍ مـن المسـائل، كـما يقـول أحـد تلامذتـه[49].

لكن لا يمكن القول إنّ التيار الشيرازي هو صورةٌ كربونية من المنظومة الفكرية للمدرسة الأخبارية، لأنّ طبيعة التيارات الفكرية عندما تنتشر وتروج أن تنبثق عنها أفكارٌ جديدة، أو تصير بعض الأصول فروعًا وبعض الفروع أصولًا، فالشيرازي وإن انتمى للأخبارية إلّا أنّه مؤسّسٌ لنظرية (شورى الفقهاء) التي خاصم بها الخمينيّ والتيار الولائي، وتُعدّ هي البديل العمليّ والقويّ الذي يطالب به كثيرٌ من المعارضين الإيرانيين حتى من خارج التيار. ولهذا سعت السلطات الإيرانية إلى تقليم أظافر الشيرازيين وتتبعهم لأنّهم اختلفوا عن الأخبارية الأمّ في البُعد عن السياسة وشؤون الدولة.

وكذلك يُحسب التيار التفكيكي الإيراني -بحسب كثير من المحققين- على التيار الأخباري، وهو وإن نفى صلته بالتيار الأخباري إلّا أنّه يلتقي بالتيار الأخباريّ في الجزء الأكبر من المنظومة الفكرية، فالتفكيكيون وإن كانوا أصوليين في محاور عدّة[50] مثل: تعديل الرواة وغربلة الروايات، والاستنباط من المُعتمد منها فقط، وإن كانوا كذلك منصهرين في نفس الدرس الفقهي الأصولي، فقد كانوا أخباريين في الوقت نفسه بنبذهم للفلسفة والعرفان كأدواتٍ اجتهادية وتأويلية يُفهم النصّ بها ومن خلالها، وإنْ كان منظروا التفكيكيين يزعمون أنّ التيار التفكيكي مختلف عن المدرسة الأخبارية من زاويةٍ جوهريةٍ متعلّقة بالموضوع، فموضوع التفكيكية العقائد وعلم الكلام، وتنقيحها من الفلسفة والعرفان بخلاف الأخباريين الذين يُعملون تنقيحهم على المستوى الفقهي والأصولي فحسب.

وبعيدًا عن التيارات المحسوبة على الأخباريين، فإنّ المدرسة الأخبارية الأمّ دون روافدها، حاضرة في عواصم التشيّع وفي الحوزات العلمية أيضًا، بل إنّ قمّ هي (عش الأخباريين)، حسب أحد مشايخ التيار[51].

خاتمة: الأخباريُّون وسؤال الثورة!

السؤال الذي تتجلّى أهميته في ختام هذه الدراسة، أنّه إذا كان التيار الأخباري بهذه القوّة والأصالة والعمق التاريخي في الدولة والمذهب، وإذا كان يملك من الأتباع والمؤيدين لطرحه أعدادًا لا بأس بها، فما هو موقفه من الثورة مشاركةً أو مغالبةً، ليدعم تيّارًا سياسيًّا، أو ليستولى هو على زمام الحكم؟!

والواقعُ أنّ سؤال الثورة نفسه ليس داخلًا في دوائر عمل التيّار، ولا يُمثّل له همًّا معرفيًّا، أو قلقًا فلسفيًّا والدرس الفقهي الأخباري لا يتطرّق إلى الفقه الثوري لعدّة أسباب، أهمها أنّ التيار في الأصل انتظاريٌّ يتبع نظرية فقه الانتظار على صعيد النظرية السياسية، ولا يؤمن بالعمل السياسي في ظلّ غياب المعصوم. والتيار أيضًا ليس هرميًّا على الصعيد الإداري، وليست له مرجعية دينية واحدة شأنه شأن الوضع العام في المرجعية مِن وجود عددٍ من مراجع الدين يتبع الناس أيًّا منهم، وليست له قيادة سياسية، ومن ثمّ فلا يملكُ التيَّار أن يثور بنفسه، لأنّه ليس كتلةً واحدةً، وليست أفكاره صُلْبة على مستويين التنظير -التي يعتريها كثيرٌ من الغموض في بعض المسائل المركزية- والتطبيق.

لكن هناك أجنحةٌ أخباريةٌ أو متأثّرةٌ -على الأرجح- بالأخباريين تبنّت النهج الثوري ضد النظام الإيرانيّ ولو على صعيد الفكر والتنظير، فالتيارُ الشيرازي المتأثّر بالأخباريين -إثر تحوّلاتٍ وتشظيّات مرّ بها-، له مواقف مصادِمة لنظام ولاية الفقيه في إيران، وقد اعتقل النظام الإيرانيّ عددًا من الزعامات الدينية للشيرازيين في قمّ كثيرًا، مثل السيد حسين الشيرازي الذي وصف المرشد علي الخامنئي بـ (فرعون العصر)، و (الدكتاتور)، فصدرت بحقّه مذكرة اعتقالٍ من المحكمة الدينية، وتكرّر هذا معه ومع غيره[52]. وليس موقف الشيرازيين السياسّي نابعٌ بسبب كونهم أخباريين بقدر ما هو معبّرٌ عن سيولة الأفكار وعدم صُلْبيتها، وتداخل عددٍ كبيرٍ من الأفكار والنظريات في بعضها، مع متغيّراتٍ سياسيةٍ ودينيةٍ وحداثيةٍ، فينتجُ عن هذه التحولات تيارات وليدة لا يُمكن تسكينها في جناحٍ مُحدّدٍ من أجنحة التشيّع وإنما يُمكن انتسابها إليه من باب التغليب وكثرة التقاطعات لا أكثر.

وأخيرًا فإنّ الدولة الإيرانية تعتبر الأخباريين خطرًا عليها، ليس بسبب أدبياتهم الثورية غير الموجودة، بل بسبب الصراع على تمثيل المذهب وتحديد ضروراته والتي يعمل التيار بقوةٍ على تشكيلِ الوعي العام الشيعي في هذه المساحة. وقد تسبّب التيار الأخباري في التأثير على الساحة الفقهية والشيعية، وأفرز من تحت عباءته عددًا من التيارات المناوئة للنظام، وهذا في ذاته مثّل مصدر إزعاجٍ للنظام الذي يريد أن يحتكر الدين كاحتكاره

للسلطة، لأنّهما لا ينفكان في القراءة الولائية.

أيضا تغافلت إيران عن اعتبار التيَّار مصدر ثراءٍ معرفي، للحوزة والدولة، وجزء من أجنحة المذهب في القديم والحديث -بغضِّ النظر عن صوابية طروحاته من عدمها-، وذلك من أجل مصالح النخبة، وبراجماتية السلطة.

إذن تكمن مشكلة الحكومة الإيرانية مع الأخباريين في أنّها ليست سلطةً سياسيةً فحسب، كما هو الحال مع الصفويين الذين أداروا العلاقة بين الأخباريين والأصوليين، ووظفوا كلًّا منهما وِفق ما تقتضيه المصالح الخاصة بجهاز الحكم وقتئذ، بل إنّ السلطة الإيرانيّة المعاصرة هي سلطةٌ سياسيةٌ ودينيةٌ في نفس الوقت، فلا تتبنّى وجهة نظرٍ دينيةٍ فتدعم تيارًا على حساب آخر، بل هي تيّار مستقل في حدّ ذاته، ومن ثمّ فهي تدير خصومتها الفكرية والحوزوية تحت مظلة السلطة السياسية، وهو ما لم يحدث في التاريخ السياسيّ الشيعي. ولذا فإنّ تحسن العلاقة بين الأخباريين والنخبة الدينية الحاكمة في إيران في ظلّ فلسفة الحكم الراهنة أمرٌ بعيد المنال، ويبدو من المستحيلات، إلّا إذا حدثت ارتدادات فكريةٍ ومراجعاتٍ حقيقيةٍ للأُسس التي يُبنى عليها النظام الإيرانيّ، وهذا بطبيعة الحال لن يحدث في ظلّ وجود الجيل الأول من الثورة والذي أسَّس الدولةَ بشكلها الحالي، وأنماطها الثقافية الراهنة، لأنّ أيّ تراجعاتٍ من هذا القبيل سوف تُعتبر هزيمةً للثورة وللنموذج الخمينيّ، لحساب نماذج أخرى لا طالما عُوديت من قِبل النخبة الحاكمة.

المصدار و المراجع

(1) الصحيح الذي عليه فقهاء الشيعة أنّ نسبتهم إلى الأخبار -جمع خبر- وليست إلى الإخبار.

(2) راجع: الشيخ محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ط/ دار التعارف بيروت، 2011م، 2/ 223. ومن مقولات بعضهم هنا: «دع ما وافق القوم، فإنَّ الرشد في خلافهم». راجع: د. محسن كديور، القراءة المنسية، إعادة قراءة نظرية الأئمة الاثنا عشر، علماء أبرار ومجتهدون أتقياء. أي: فهم الشيعة الأوائل لأصل الإمامة، ط/ مؤسسة الانتشار العربي2011م، ص156.

ويقول تود لاوسن: «وقد أُخذت مفردة الأخباري من الكلمة المستعملة للإحالة على آلاف الروايات-الأخبار ومفردها خبر، وتُسمى في بعضٍ من الأحيان الأحاديث التي حفظت لنا، لا سُنّة النبيّ محمد فحسب، وإنّما سنّة الأئمة المعصومين الثلاثة عشر، أي الأئمة الاثنا عشر وفاطمة». راجع: سلطة الأنثى ومكانة فاطمة في أحد أعمال الباب المبكرة، دراسة متضمنة في كتاب: «الأعلم بين الشيعة»، ص188.

(3) قبل أن يحدث الانحراف في الخطّ الشيعي بنظر الأسترابادي.

(4) راجع: الأسترابادي، الفوائد المدنية، ط/ مؤسسة النشر الإسلامي، ص91.

(5) راجع: محسن كديور، القراءة المنسية، ط/ الانتشار العربي2011م، ص155.

(6) زابينة شميتكه، المرجع في تاريخ علم الكلام، ترجمة: د. أسامة شفيع، تقديم العلامة حسن الشافي، ط/ مركز نماء للبحوث والدراسات2018م، 2/ 780.

(7) راجع: حسن مفيد، التيار الأصولي عند الميرزا الأصفهاني، ص187 وما بعدها، (دراسة ضمن كتاب: «ميرزا الأصفهاني رائد التفكيك في المعرفة الدينية»، ط1/ مركز الحضارة بيروت 2014م).

(8) والقول إنّ التيار الأخباري لم يكن موجودًا كمدرسة علمية منضبطة، ينسحب أيضًا على التيار التقليدي نفسه، الذي تطوّر عبر الزمن، وشهد تحولات عميقة في بنيته المعارفية، ورؤيته للدين والدولة. فعدم حجية الدليل العقلي الذي يتهم مطهري الأخباريين بها، لم يتفق الأصوليون أنفسهم على تعريف جامع مانع لتلك الحجية العقلية، فما هو حجة عقلية عند نفر منهم ليس حجّة عقلية عند الآخرين، لعدم الاتفاق على تحرير المصطلح ومِن ثَمّ الاختلاف حول محلّ النزاع، ومِن ثَمّ فالسيولة الفكرية التي أشرنا إليها كانت لصيقة بكلّ التيارات تقريبًا، إن على مستوى التنظير أو على مستوى التطبيق.

(9) راجع: مرتضى مطهري، الثورة والدولة، ص391.

(10) آية الله جعفر السبحاني، رسائل أصولية، ط/ مؤسسة الإمام الصادق قم، ص48.

(11) راجع: د. صدر الدين فضل الله، التمهيد في أصول الفقه، ط/ دار الهادي، بيروت 2002م، ص79، 83.

(12) لنداس والبرغ، الأعلم بين الشيعة.. دراسة في مرجعية مؤسسة التقليد، ص188.

(13) راجع: الأسترابادي، الفوائد المدنية، ط/ مؤسسة النشر الإسلامي، ص91.

(14) الشيعة بين المدرسة الأصولية والمدرسة الأخبارية، السيد كمال الحيدري، حلقة منشورة على يوتيوب بتاريخ: 29 فبراير2016م. https://www.youtube.com/watch?v=RsUA9RMHUG4

(15) الفوائد المدنية، ص92.

(16) الأسترابادي: الفوائد المدنية، ط/ النجف د.ت، ص371. نقلًا عن: محمد الصياد، ثبوت القرآن بين السنّة والشيعة الإمامية ص179.

(17) مرتضى مطهري: نقد الفكر الديني، ط/ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2011م، تقديم محمد عمارة، ص142.

(18) ثيولوجيا التشيع السياسي، ص338.

(19) وجيه كوثراني، الفقيه والسلطان، ط/ المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،2015م، ص177.

(20) روبرت غليف، الاستمرارية والإبداع في الفكر الشيعي.. العَلاقة بين الأخبارية والمدرسة التفكيكية، مجلة البصائر، العدد 49، السنة الثانية والعشرون2011م، ص40.

(21) يقول آية الله حسين منتظري: «لم يكن قدماء الفقهاء من القائلين بالقياس والاستحسان واعتماد الأمور العقلية، بل لم يكونوا ليتجاوزوا حتى ألفاظ الروايات، فلو أنهم أجمعوا على فتوى فلا بد أن يكون قد بلغهم كلام من الإمام في ذلك المورد، ولم يبلغنا». راجع: حيدر حب الله «تحرير»: فقه الحجاب في الشريعة الإسلامية، قراءات جديدة، ط/ مؤسسة الانتشار العربي2012م، ص231. (دراسة للشيخ أحمد عابديني بعنوان: الحجاب ومصافحة المرأة، فتوى واحدة وقراءات متعدّدة، ترجمة السيد مطر الهاشمي). وكلام آية الله منتظري ردّده تلميذه كديور في (القراءة المنسية) مما يشير إلى أصالة التيار الأخباري، أو وجوده قديمًا كمدرسة قوية، بخلاف ما يروّجه البعض من حداثته وطروئه على المشهد الديني والحوزوي.

(22) قد يُستدرك علينا هنا بالخلافات الكبيرة التي حدثت تاريخيًا بين التيارين الأخباري- الأصولي، والتي وصلت لدرجة التقاتل والعنف المتبادل بين الطرفين، والحقيقةُ أننا لا ننكر الخلاف العلمي بين المدرستين، كذلك الخلاف بين أهل الرأي وأهل الأثر الموجود في كلّ المذاهب، بيد أنّ تضخيم هذا الخلاف، وجلبه وإحيائه في تلك العصور المتأخرة كان متعمدًا. كذلك فإنّ تلك الخلافات التاريخية لم تخل

هـي الأخـرى مـن عوامـل خارجيـة غـير علميـة أشـعلتها، كالسياسـة والـصراع عـلى النفـوذ والسـلطة الدينيـة والمجتمعيـة ونحـو ذلـك مـما يضيـق المقـام عـن ذكـره هنـا.

(23) أحمـد الكاتـب: المرجعيـة الدينيـة وآفـاق التطـوّر،ط2/ الـدار العربيـة للعلـوم نـاشرون 2007م، ص140.

(24) (24)) الملا صدرا: الأسفار 1/ 6-5.

(25) د. أحمـد قوشـتي، الـصراع بـن الأخباريـين والأصوليـين داخـل المذهـب الشـيعي الاثنـا عـشري، ط2/ تكويـن، الخـبر، السـعودية 2015م، ص48.

(26) انظـر محـاضرة يـاسر الحبيـب عـلى يوتيـوب بعنـوان: «الخمينـي وابـن عـربي صوفية زنادقة» منشـورة بتاريخ 18 ديسـمبر 2013م. http://cutt.us/D4Ieh

(27) حـوار حـول المشـهد الثقـافي في إيـران، حيـدر حـب اللـه: حـوار مـع جريـدة الـشرق الأوسـط العـدد 9123، 20/ 11/ 2003م.

(28) راجـع: محمـد الصيـاد، تطـوّر الـدرس الفلسـفي المعـاصر في إيـران، إضـاءات 11 مايـو2019م.
https://cutt.us/8eKaP

(29) لنـداس والـبرغ «تحريـر»، الأعلـم بـين الشـيعة دراسـة في مؤسسـة مرجعيـة التقليـد، ترجمـة: د. هنـاء خليـف، ط1/ المركـز الأكاديمـي للأبحـاث2017م، ص188.

(30) يقـترب هـذا الموقـف كثـيرًا مـن موقـف ابـن حـزم الظاهـريّ ومدرسـته، إذ ذهـب إلى أنّـه «لا رأي في الديـن، وليـس لأحـد أن يجتهـد برأيـه». محمـد أبـو زهـرة، ابـن حـزم، ط/ دار الفكـر العـربي، ص328. ويذهـب ابـن حـزم إلى أنّ مـن حـقّ العامّـي أن يسـأل الفقيـه عـن دليلـه، فـإن وجـد الدليـل منحـصرًا في الكتـاب والسـنّة أخـذ بـه، وإلا فـلا. ويدعـو ابـن حـزم إلى ألا يتوسـط بـين العامّـي وديـن اللـه وسـائط مـن قـول إمـام واعتبـاره دينًـا. راجـع: أبـو زهـرة، ابـن حـزم، ص240.

(31) يلمـح مرتـضى مطهـري إلى عمالـة الأسـترابادي لجهـات مجهولـة، فهـو حسـب مطهـري «قـد عـاش في مكـة والمدينـة، ولا يوضـح التاريـخ بالطبـع اتصـالات وعَلاقـات هـذا الشـخص في تلـك الفـترة، ورغـم أنـه كان شـيعيًّا فإنـه هاجـم وبشـدة كبـار علـماء الشـيعة». نقـد الفكـر الدينـي ص140. ويـردّ جـواد شـبر عـلى هـذا الاتهـام بقولـه: «هنالـك كثـير مـن المنشـورات التـي تتهـم دعـاة الأفـكار التجديديـة أو لنقـل المخالفـة في ربطهـا بمؤامـرات السـلطات وعمالتهـم لهـم، كـما هـي تلـك التـي تتهـم الأسـترابادي بالركـون إلى المجهـول، ونفـس الـشيء قـد تجـده مـع محمـد بـن عبـد الوهـاب ومـع الأفغـاني وغيرهـما، وهـي محاولـة يُـراد منهـا الانتقـاص مـن تلـك الشـخصيات عـلى حسـاب الدخـول معهـا في سـجالات فكريـة». ثيولوجيـا التشـيع السـياسي ص336 هامـش.

(32) قد لا يوجد كتاب لمرتضى مطهري إلا ونالَ من الأخباريين، ورجع إليهم كلّ سيئة حاقت بالمذهب في القديم والحديث، ويتحسر على تعزز منهجهم في القرون المتأخرة فيقول: «إنَّ ما يبعث على الأسف هو أن المنهج الفكري لأهل الحديث قد تعزز في القرون المتأخرة في أوساط الشيعة، فظهرت في الشيعة فئة (الأخباريون) تعتبر التفكير والتعمق في المعارف الإلهية بدعة وضلالة، في حين يعتبر هذا التوجه بلا شك نوعًا من الانحراف عن السيرة المطهرة لأئمة هذا المذهب». راجع: مجيد محمدي، اتجاهات الفكر الديني المعاصر في إيران، ترجمة: ص. حسين، مراجعة: صادق العبادي، ط/ الشبكة العربية للأبحاث والنشر+ المعهد العالمي للفكر الإسلامي2010م، ص141.

(33) راجع: هيثم مزاحم، تطوّر المرجعية الشيعية، ص189. وراجع على سبيل المثال: سماحة المرجع محمد سعيد الحكيم: الأصولية والأخبارية بين الأسماء والواقع، الناشر/ موثّق 1420ه النجف.

(34) حيدر حب الله: العقل الأخباري أساسيات المعرفة ومناخات الظهور، مجلة المنهاج، العدد 47، بيروت خريف 2007م. وراجع: د. محمد السلمي، ومحمد الصياد: الفقيه والدين والسلطة.. جدلية الفكر السياسي الشيعي بين المرجعيتين العربية والإيرانية، ط/ مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية، الرياض 2017م، ص92 وما بعدها.

(35) صلاح جواد شبر: ثيولوجيا التشيّع السياسي بين حقِّ الله والشعب وواقع الممارسة، ص339. وراجع: د. محمد بن صقر السلمي، ومحمد الصياد: الفقيه والدين والسلطة جدلية الفكر السياسي الشيعي بين المرجعيتين العربية والإيرانية، ص94.

(36) صلاح جواد شبر: ثيولوجيا التشيع السياسي بين حق الله والشعب وواقع الممارسة، ط1/ الرافدين لبنان 2017م، ص344.

(37) وهناك الجناح العريض من الأصوليين حتى اليوم لا يزال يؤمن بعدم المشاركة السياسية حتى ظهور المعصوم، وأنّه لا ولاية للفقيه إلّا في الأمور الحسبية فقط.

(38) راجع: أحمد الكاتب: تطور الفكر السياسي الشيعي، ص196. وراجع: د. أحمد قوشتي: الصراع بين الأخباريين والأصوليين، ط2/ تكوين للدراسات والأبحاث، الخبر- السعودية، ص121.

(39) - الكليني: الكافي، 8/ 295، والحر العاملي: وسائل الشيعة 11/ 37، والمجلسي: بحار الأنوار، 25/ 114

(40) - علي إبراهيم درويش، السياسة والدين في مرحلة تأسيس الدولة الصفوية، ط/ المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ص308.

(41) - من المهم في هذا الصدد مراجعة النظرية السياسية عند جماهير التقليديين

في: محمد السلمي ومحمد الصياد، الفقيه والدين والسلطة، ط/ مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية2017م.

(42) - وجيه كوثراني: الفقيه والسلطان، ص177 .

(43) جواد شبر: ثيوليوجيا التشيع السياسي، ص337.

(44) يقول محسن آل عصفور: «على كلِّ حال، فإنّ الغلبة للأصوليين لا تعني بالضرورة أنّ المدرسة الأخبارية انتهت وتلاشت واندرست كما يحلو للبعض إيهام نفسه به؛ لأنّ التراث الأخباري مازال السائد والمسيطر في مراكز التحقيق والنشر والمكتبات العامة والخاصة، ويمثّل ما نسبته أكثر من تسعين في المئة وحركة طبعه وترويجه تزداد نشاطًا يومًا بعد يوم». حوار علي الدريدي، هجر الثقافية، سابق.

(45) (حيدر حب الله: العقل الأخباري أساسيات المعرفة ومناخات الظهور، مجلة المنهاج بيروت العدد 47، خريف 2007م.

(46) حب الله: العقل الأخباري، سابق. وتوفيق السيف: عصر التحولات، ط/ مؤسسة الانتشار العربي بيروت 2016م، ص207. وراجع: مجموعة مؤلفين: اتجاهات العقلانية في الكلام الإسلامي، ط/ مؤسسة الانتشار العربي 2014م، ص345.

(47) السيد كمال الحيدري: كيف يحصل الإمام المعصوم على العلم، حلقة منشورة على يوتيوب 29 سبتمبر 2015م. http://cutt.us/zNNB وعلم الأئمة للغيب ليس من الغلو، حلقة منشورة بتاريخ 1/ 3/ 2014م، على اليوتيوب. http://cutt.us/pUW6J

(48) حسنين هيكل: مدافع آيات الله، ط/ دار الشروق 2009م، ص182. ويقولُ الخميني: «وإنّ من ضروريات مذهبنا أنّ لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملكٌ مقرّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، ولقد كانوا قبل هذا العالم أنوارًا محدقين بعرش الله». مصباح الهداية إلى الولاية والخلافة، ط/ طهران د.ت، ص53. ومحمد عمارة: الجذور التاريخية للتشيّع الفارسي: مجلة الأزهر ديسمبر 2014م، ص239.

(49) أحمد الكاتب: المرجعية الدينية الشيعية وآفاق التطور، ص148.

(50) محمد رضا الحكيمي: المدرسة التفكيكية، ترجمة عبد الحسن سلمان وخليل العصامي، وتقديم عبد الجبار الرفاعي، ط/ دار الهادي بيروت 2000م، ص155.

(51) محسن آل عصفور: قم عش الأخبارية وسطوة الأصوليين لا تتجاوز السبعين عامًا، (حوار أجراه علي الديري)، شبكة هجر الثقافية. http://cutt.us/iPk5t

(52) راجع دراستنا بالتفصيل عن العلاقة بين الشيرازية والنظام الإيراني التي بعنوان: (النِّظام الإيراني والمرجعية الشيرازية.. القمع والتوظيف)، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية 10 مارس2018م. https://cutt.us/ysAjd



RASANAH
المعهـــد الدولـــي للدراســـات الإيـرانيـــة
INTERNATIONAL INSTITUTE FOR IRANIAN STUDIES
WWW.RASANAH-IIIS.ORG